بسم الله الرحمن الرحيم

البيعة لخليفة المسلمين
ح6

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه وسار على دربه، واهتدى بهديه، واستن بسنته، ودعا بدعوته واقتفى أثره إلى يوم الدين، واجعلنا معهم واحشرنا في زمرتهم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم لا سهل إلاَّ ما جعلته سهلا ، وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلا . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

ربِّ اشرح لي صدري، ويسِّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي.

أحبتنا الكرام : أحييكم بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

إخوة الإيمان: في هذه الحلقة سنتحدث عن مبايعة عمر بن الخطاب بالخلافة إلى نهاية عهده بها رضي الله عنه.

ظلَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وَزيرا لأبي بَكر طِيلَة فَترَةِ خِلافَتِهِ، وَحينَ كانَ أبُو بَكر يُوَدِّع الدُنيا، وَثَقُلَ مَرَضُه، وَاستَبَانَ لَهُ المَوت، خَافَ أنْ يَترُكَ النَّاسَ بِلا خَليفَة، فيَكُونَ يَومٌ كيَوم السَّقيفَة، وَلَمْ يُرِدْ أنْ يُعَيِّنَ رَجُلا بِعَينِهِ، فيَفعَلَ مَا لَمْ يَفعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فجَمَعَ النَّاس، وَلَمْ يَشغَلْهُ مَرَضُهُ وَألَمُهُ عَن الاهتِمَام بأمْرِهِمْ!! فَنَزَع بَيعَتَهُ مِنْ أعْنَاقِهِمْ، وَكَلَّفَهُمْ أنْ يَنتَخِبُوا غَيرَهُ لِلخِلافَة، **وَقَالَ لَهُمْ:**

{إنَّهُ قَد نَزَلَ بي مَا تَرَوْنَ، وَلا أظنُّنِي إلا مَيِّتا لِمَا فِيَّ مِنَ المَرَض، وَقَد أطلَقَ اللهُ أيْمَانَكُمْ مِنْ بَيعَتِي، وَحَلَّ عَنكُمْ عُقدَتِي، وَرَدَّ عَليكُمْ أمْرَكُمْ، فأَمِّرُوا عَليكُمْ مَنْ أحبَبتُمْ، فَإنَّكُمْ إنْ أمَّرتُمْ فِي حَيَاةٍ مِنِّي، كانَ أجْدَرَ أنْ لا تَختَلِفُوا بَعدِي}.

فذهَبُوا فتَشاوَرُوا، وَبَحَثُوا فلَمْ يَتَّفِقُوا عَلى أحَدٍ، فرَجَعُوا إليهِ فوَكَّلُوهُ أنْ يَختَارَ لهُمْ، قالَ أبُو بَكر:

{فأمهلُونِي حَتَّى أنظُرَ للهِ وَلِدِينِهِ وَلِعبَادِهِ}.

وَبَدَأ الصِّديقُ استشَارَاتِهِ، وَجَعَلَ يَدْعُو أصحَابَ الرَّأي وَكِبَارَ الصَّحَابَةِ وَاحِدا بَعدَ وَاحِد، فَدَعَا أوَّلا عَبدَ الرَّحمَن بنَ عَوفٍ فقالَ له: {أخبرنِي عَنْ عُمَرَ بنَ الخطَّاب} فقالَ له: {مَا تسْألُنِي عَنْ أمْر إلا وَأنتَ أعلَمُ بِهِ مِنِّي}.

فقالَ لهُ: {وَإنْ!} فقالَ عَبدُ الرَّحمَن: {هُوَ وَاللهِ أفضَلُ مِنْ رَأيِكَ فِيه}. ثُمَّ دَعَا عُثمَانَ فقالَ لهُ مِثلَ ذلكَ، فقالَ: {عِلمِي بِهِ أنَّ سَرِيرَتَهُ خيرٌ مِنْ عَلانِيَتِهِ وَأنَّهُ ليسَ فِينَا مِثلُه}. فقالَ لهُ أبُو بَكر: {يَرحَمُكَ اللهُ، وَاللهِ لَو ترَكتُهُ مَا عَدَوتُك}. أي لاخترتُكَ أنتَ يَا عُثمَانُ دُونَ غَيرِكَ.

ثُمَّ شَاوَرَ سَعيدَ بنَ زَيدٍ، وَأسَيدَ بنَ الحُضَير وَغَيرَهُمَا مِنَ المُهَاجرينَ وَالأنصَار فقالَ أسَيد: {اللهُمَّ أعْلَمُهُ الخيرَة بَعدَكَ، يَرضَى لِلرِّضَا، وَيَسخَط لِلسُّخطِ، وَالذي يُسِرُّ خيرٌ مِنَ الذي يُعلِنُ، وَلنْ يَلِيَ هَذا الأمْرَ أحَدٌ أقوَى مِنهُ}.

وَسَمِعَ بذلكَ بَعضُ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ لا يَرَى انتخابَ عُمَرَ فَدَخَلُوا عَلى الصِّديق، فقَالَ لَهُ قائِلٌ مِنهُم: {مَا أنتَ قائِلٌ لرَبِّكَ إذا سَألَكَ عَن استِخلافِكَ عُمَرَ عَلينَا، وَقَدْ تَرَى غِلظَتَه، وَهُوَ إذا وَلِيَ كانَ أفَظ وَأغلَظ}.؟!

قالَ أبُو بَكر: {أجلِسُونِي}. فلمَّا جَلَسَ قالَ: {أباللهِ تُخَوِّفُونَنِي؟ خابَ مَنْ تَزَوَّدَ مِنْ أمْركُمْ بِظُلم}. أقُولُ: {اللهُمَّ إنِّي قَدِ استخلَفتُ عَلى أهلِكَ خَيرَ أهلِكَ}. ثُمَّ قالَ لِلقائل: {أبلِغْ عَنِّي مَا قُلتَ لكَ مَنْ وَرَاءَكَ}.

ثُمَّ اضطجَعَ وَدَعَا بعُثمَانَ وَأمْلَى عَليهِ هَذا القَرَارَ بتَسمِيَةِ عُمَرَ، وَلَمْ يَتَّخِذهُ بوَصفِهِ الخَليفَة، بَلْ لأنَّ المُسلمينَ أصْحَابَ الحَقِّ بالانتِخَابِ وَكَّلُوهُ بأنْ يُسَمِّيَ لهُمْ مَنْ يَرَاهُ، وَهَذا نَصُّهُ:

{بسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم هَذا مَا عَهدَ بِهِ أبُو بَكر بنُ أبي قُحَافَة فِي آخِرِ عَهدِهِ بالدُنيَا خَارجا مِنهَا وَأوَّلَ عَهدِهِ بالآخرَةِ دَاخِلا فيهَا، حَيثُ يُؤمِنُ الكافِرُ، وَيُوقِنُ الفَاجِرُ وَيُصَدِّقُ الكاذِبُ، إنِّي استخلَفتُ عَليكُمْ بَعدِي...}.

وَأخَذتْ أبَا بَكر غَشيَة فَذُهِبَ بِهِ قَبلَ أنْ يُسمِّيَ أحَدا، فَكَتَبَ عُثمَانُ: {عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ}.

ثُمَّ أفَاقَ أبُو بَكر، فقالَ: اقرأ عَليَّ مَا كَتَبْتَ. فقرَأ عَليهِ وَذكَرَ عُمَرَ، فَكَبَّرَ أبُو بَكر وَقالَ: {أرَاكَ خِفْتَ أنْ تَذهَبَ نَفسِي فِي غَشيَتِي تِلك، فيَختَلِفَ النَّاسُ، فجَزَاكَ اللهُ عَنِ الإسلام خَيرا، وَاللهِ إنْ كُنتَ لهَا لأهلا}.

ثُمَّ أمَرَهُ أنْ يَكتُبَ تَتِمَّة الكِتَابِ: {فَاسمَعُوا وَأطيعُوا وَإنِّي لَمْ آلُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَدِينَهُ وَنَفسِي وَإيَّاكُمْ خَيرا، فإنْ عَدَلَ فذلكَ ظَنِّي بِهِ وَعِلمِي فِيهِ، وَإنْ بَدَّلَ فَلِكُلِّ امرئٍ مَا اكتَسَبَ وَالخَيرَ أرَدْت، وَلا أعْلَمُ الغَيبَ، وَسَيَعلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ. وَالسَّلامُ عَليكُمْ وَرَحْمَة اللهِ}.

ثُمَّ أمَرَهُ فَختَمَ الكِتَابَ، وَخَرَجَ بِهِ مَختُوما وَمَعَهُ عُمَرُ وَأسَيدُ بنُ الحُضَير، وَأسَيدُ بنُ سَعيدٍ القُرَظِيُّ، فقالَ عُثمَانُ لِلنَّاس: {أتبَايعُونَ لِمَنْ فِي هَذا الكتابِ}؟ قالُوا: نَعَمْ. وَفِي روَايَةٍ أنَّ أبَا بَكر أشرَفَ عَلى النَّاس فِي كُوَّتِه، فقَالَ: {يَا أيُّهَا النَّاسُ!! إنِّي قَدْ عَهِدْتُ عَهْدا أفَتَرْضَونَهُ}؟ فقالَ النَّاسُ: {رَضِينَا يَا خَليفَة رَسُولِ الله}. فقامَ عَليٌّ فقالَ: {لا نَرضَى إلاَّ أنْ يَكونَ عُمَرَ}. قالَ: {فإنَّهُ عُمَرُ}. فَأقَرُّوا بذلكَ جَميعا وَرَضُوا بِه، ثُمَّ بَايَعُوا.

فَرَفَعَ أبُو بَكر يَدَيهِ فقالَ: {اللهُمَّ إنِّي لَمْ أرِدْ إلا صَلاحَهُمْ، وَخِفْتُ عَليهِمُ الفِتنَة، فعَمِلتُ فِيهِمْ مَا أنتَ أعْلَمُ بِه، وَاجتَهَدْتُ لَهُمْ رَأيي، فَوَلَّيتُ عَليهِمْ خَيرَهُمْ وَأقوَاهُمْ عَليه، وَأحْرَصَهُمْ عَلى مَا أرْشَدَهُمْ، وَقَدْ حَضَرَنِي مِنْ أمْرِكَ مَا حَضَرَ فَاخلُفنِي فيهِمْ، فَهُمْ عِبَادُكَ، وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ، وَأصْلِحْ لَهُمْ أميرَهُمْ، وَاجعَلْهُ مِنْ خُلَفَائِكَ الرَّاشِدينَ، يَتَّبِعُ هَدْيَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَهَدْيَ الصَّالِحينَ بَعْدَهُ، وَأصْلِحْ لَهُ رَعِيَّتَهُ}.

{... وقبل أن يضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه دستورا للولاة، وضع دستورا لنفسه قوامه أن الحكم محنة للحاكم، ومحنة للمحكومين، وأنه لا يصلح إلا بشدة لا جبرية فيها، ولين لا وهن فيه، وأن الخليفة مسؤول عن ولاته واحدا واحدا في كل كبيرة وصغيرة، ولا يعفيه من اللوم أنه أحسن الاختيار.

قال يوما لمن حوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما عليَّ؟

قالوا: نعم، قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟

وعهود عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي خير العهود التي تؤخذ على ولاة أمر، وأبينها للحدود القائمة بين الراعي والرعية، وخير ما فيها أنه كان يحث الناس على الاستغناء عن التحاكم إلى الحكام، خلافا لأصحاب الأمر الذين يودون لو فرضوا لأنفسهم حكما في كل شيء فكان يقول لهم:

أعطوا الحق من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إليَّ.

وعاهد الناس فقال:

لكم عليَّ ألا أجتني شيئا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم. ولكم عليَّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه.

ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله.

ولكم عليَّ ألا ألقيكم في المهالك، ولا أجمِّركم (أي أحبسكم في ثغوركم)، وإذا غبتم في البعوث، فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحضار النصيحة فيما ولاني الله من أمركم.

وجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاح الأمر في ثلاث:

1. أداء الأمانة.
2. والأخذ بالقوة.
3. والحكم بما أنزل الله.

وجمع رضي الله عنه صلاح المال في ثلاث:

1. أن يؤخذ من حق.
2. ويعطى في حق.
3. ويمنع في باطل.

ومن أوائل عهوده في بيان الحق الذي يرشح الحاكم لولاية الحكم:

((أيها الناس، إني قد وُليت عليكم، ولولا رجاءٌ أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم اضطلاعا بما ينوب من مهم أموركم، ما وليت ذلك منكم)).

فأحق الناس بالحكم، أقدرهم على البر، والحزم والنهوض بالأعباء، وليس له في غير ذلك حق يرشحه للحكومة.

ومن أوائل خطبه بعد توليه الخلافة: ((إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبيَّ، فلا والله لا يحضرني شيءٌ من أمركم فيَلِيَهُ أحدٌ دوني، ولا يتغيب عني فآلوَ (أعتمد) فيه عن أهل الصدق والأمانة، ولئن أحسنوا لأحسننَّ إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلنَّ بهم)).

فهو يعدهم أن يلي الأمر في كل ما حضره، وألا يعهد فيه إلى غيره إلاّ إذا غاب عنه، ثم لا يكون وكلاؤه فيه إلاّ من أهل الصدق والأمانة، ثم هو لا يدعهم وشأنهم بعد ذلك، بل يراقبهم ويتتبع أعمالهم، فيحسن إلى من أحسن، وينكل بمن أساء، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول، ويعني ما يقول، ويعمل بما يقول. وصارح القوم فيما لا يحصى من الخطب والأحاديث أن له عليهم حق الطاعة فيما أمر الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن له عليهم حق النصيحة، ولو آذوه فيها، ومن ذلك الرواية المشهورة التي سأل الناس فيها أن يدلوه على عوجه فقال له أحدهم: **والله لو علمنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا، فحمد الله أن جعل في المسلمين من يقوِّم اعوجاج عمر بسيفه.**

لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبيح من مال المسلمين لنفسه إلا ما يقيم أوده وأود أهله عند الحاجة إليه، فإن رزقه الله ما يغنيه عن بيت المال كفَّ يده عنه.

يقول عمر رضي الله عنه: ((ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف تقرم البهيمة الأعرابية ((القضم لا الخضم))، أي كما تأكل ماشية البادية قضما بأطراف أسنانها، لا مضغا وطحنا بأضراسها)).

ولما سُئل عما يحل للخليفة من مال الله قال: ((إنه لا يحل لعمر من مال الله إلاّ حلتان: حلة للشتاء، وحلة للصيف، وما أحج به وأعتمر، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش، ليس بأغناهم، ولا بأفقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين))}

إخوة الإيمان:

وَتَدُورُ عَجَلَةَ الزَّمَان، مَرَّة ثانية، وَتنقَضِيْ سَنَوَاتُ خِلافَةِ الفَارُوق عُمَرَ رضي الله عنه، الذي مَلأ الأرضَ عَدلا، وَأَعَزَّ اللهُ بِهِ الإسلامَ وَأهلَهُ، وَاتَّسَعَتْ فِي عَهدِهِ رقعَة الدَّولَةِ الإسلاميَّة، وَتبَوَّأ المُسلِمُونَ المَكانَةَ اللائِقَةَ بِهِمْ بَينَ الأمَمِ وَالشُّعُوب، فكانُوا بحَقٍّ خَيرَ أمَّةٍ أخرجَتْ لِلنَّاس.

أحبتنا الكرام: بهذا نكون قد أنهينا حديثنا عن مبايعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه بالخلافة إلى نهاية عهده بها، وفي الحلقة القادمة إن شاء الله سيكون حديثنا عن مبايعة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة.

وإلى ذلك الحين أستودعكم الله، أستودعه دينكم وإيمانكم وخواتيم أعمالكم،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.